ترجيح الوزن الخفيف بجرائم ثقيلة

فوزية حمدان ترى ما آل إليه حالها بعد ما شاركت بالتخاذل فى إلقاء حبيبها طاهر زين الدين إلى حافة الغياب.. وشاركت بالغباء فى تدمير حكمت وبشاير وقتلهما بالسم البطىء، فهما اللتان ودعتا الحياة فى دار المسنين الواحدة تلو الأخرى ودفنتا فى مقابر الصدقة لأن صديقتهما مارى الوحيدة التى تعرف مقابر العائلة كانت على سفر طويل..

فوزية حمدان لا تصدق أنها تشارك هذه المرة ـ رغمًا عنها ـ فى مؤامرة لتدمير أكبر رأس فى مصر المحروسة..

* * *

تحركت بإعياء وزهق إلى صالونها القديم فى فسحة من الوقت أتيحت لها.. قابلتها رجاء البدينة بوجه ملىء بالهلع: «**حمدًا لله على سلامتك.. لم أعلم أنك كنت مريضة**»

ـ «**لم أكن مريضة..**»

ـ «**إذن، فما هذا الذى أراه أمامى؟.. أين فوزية حمدان التى أعرفها؟..**»

ـ «**فوزية ضاعت..**»

ـ «**لا.. لا.. تعالى.. اجلسى على هذا الكرسى.. سأعثر عليك بعد ساعة عندما أعيد إليك وجهك الجميل وشعرك المدهش..**»

ـ «**لا رغبة لى فى التزين.. فلمن أتزين يا رجاء؟**»

وما رفضته من رجاء فى ألا تتزين، لم ترفضه من رجاء نفسها وهى تمنحها أسرارًا مجانية حول زبوناتها.. وقد تعمدت المانحة النشطة أن تبدأ بأخبار بهيرة هانم، فهذا هو المدخل الحتمى للأخبار التالية عن خميسة عفيفى.

فبهيرة هانم العاقر التى تعشق تعاطى النميمة ما زالت تتبادل مع صديقات يشبهنها تكثيف الشائعة ضد خميسة عفيفى حتى بدت كأنها حقيقة.. بهيرة هذه وصل بها الكيد لغريمتها أن صارت تكيد لنفسها وتتناول بخاطرها كأسًا من السم تتجرعه بإرادتها ..

ـ «فحلمى خائن.. وخميسة خائنة.. وكان الزوج المخدوع يرصد لقاءاتهما»

وفيما بعد قالت لمن حولها:

ـ «ألم أقل لكم إنهما خائنان.. ها هما قد تزوجا»

ولم تلتفت إلى رأى سديد من صديقة مخلصة ينحى عليها باللائمة:

ـ «أنت السبب.. لم تفهمى زوجك، ولن تفهميه.. رفضت العودة إليه ومشاركته السفر إلى منصبه الرفيع بالسلك الدبلوماسى.. فتنازل عن المنصب والسفر معًا كآخر محاولة لإعادتك.. ما الذى تنشدينه بجلده وجلد ذاتك وجلد خميسة المسكينة.؟»

ويكون رد فعلها أمام هذا الرأى هو الصراخ بصوت عال، فتسب صاحبة هذا الكلام وتسب طليقها وعشيقته والدنيا والناس وكل الرجال.. فالذى يخونها فى مصر مع امرأة ليست من وسطه وفى نصف عمره سيخونها مع الأوروبيات.. فكيف يهنأ لها بال وهى التى لا تملك إلا زوجًا من العيون تراقبه بها فى حين أن مراقبته تعوزها عيون قبيلة من النساء الغيورات..

ـ «فهل أسافر معه لشراء همى وتعاستى؟.. أم لأعود جثة بصندوق خشبى بعد أن أسلم نفسى للانتحار؟»

وعندما تهدأ من لوثتها، وتسترد أنفاسها، وتخرج من الصالون فى صحبة الملل والإعياء تلوذ زبونات الصالون بصمت كله إشفاق، ثم يرهفن السمع لصاحبة الرأى السديد:

ـ «هذا الذى رأيتنه الآن هو الحب.. الحب الذى زاد عن حده.. فانقلب إلى ضده. بهيرة تتجه إلى الموت..»

* * *

أما حلمى عبد الباقى الذى واجه مصيبته بصبر وتحد ووضوح، فإن ما أثمر عنه ذلك التحدى هو تحول حياة خميسة عفيفى تحولًا جعلها تقف ذاهلة ومضطربة وهى تتلمس

حقيقة هذا الرجل الذى أرسل فى طلبها.. حين قالت لها سوسن:.. «اذهبى إليه»

ـ «أين؟»

ـ «إلى نفس المكان الذى لم تكملا فيه حديثكما منذ سبعة شهور»

وفى محل جروبى، كان استقباله لها مختلفًا، وسلامه عليها طافحًا بما يزيد عن الود المعتاد، وحديثه معها مفعمًا بحرارة لم تعتدها من قبل.. وحنوه الآسر بدا لها كنهر فاض ماؤه وانسكب فروى الشطآن العطشى، وكلماته مهذبة ومنتقاة:

ـ «عام واحد واكسر حلقة الأربعين»

ـ «إنه عمر الحكمة والنضوج»

ـ «كنت سأبدأ حياة جديدة خارج البلاد وكأننى تخرجت بالأمس»

ـ «الطموح هو السفر الدائم داخل النفس المفعمة بالأمل»

ـ «لم يكن طموحًا، ولذا فقد عدلت عنه»

ـ «وصلتنى التفاصيل وتعجبت لخياراتك »

ـ «الخيار الأمثل هو ما ترتاح إليه النفس»

ـ «هذا صحيح خاصة إذا كانت نفسًا مطمئنة»

ـ «الاطمئنان لا يفارقنى رغم كل شىء»

ـ «رغم خسارتك المفاجئة لحياة هادئة وزوجة رائعة»

ـ «هل من الروعة أن تضع نهايتها بيدها لحياة كانت فوق صفيح ساخن؟»

ـ «لم يكن يبدو أن أمرها كذلك..»

ـ «كانت كل أمورنا كذلك، حب يقتله اليأس، ويأس تلهبه الغيرة»

ـ «قلة نصيبها مزق سعادتها»

ـ «لم تقتنع أننى طفلها الكبير الذى قدم نفسه لها عوضًا عن أطفال غابوا»

ـ «رب طفل يجمع أبوين، ويُخشى من طفل آخر أن يجمعهما»

ـ «أنت تشيرين إلى حالتك مع زوجك، سامحه الله»

ـ «حالة معكوسة من حالة السيدة بهيرة»

ـ «هذا ما فهمته من سوسن»

ـ «على ذكر سوسن، لقد أفهمتنى أنك تريدنى فى أمر مهم»

ـ «أجل..؟.»

وتوقف عن الكلام.. وأرسل بصره بعيدًا.. لم يكن يبحث عن حديث.. لكنه كان يبحث عن قرار: هل يتحدث أم لا..؟.. وأخيرًا قال :

ـ «فى جلستنا التى لم نكملها كنت سأفاتحك فى فكرة راودتنى وقتها بافتتاح مكتب للمحاماة تعملين معى فيه.. واليوم ما زالت الفكرة قائمة.. ما رأيك؟»

ـ «أنت تقدم لى حُلمى على طبق من ذهب»

ـ «إذن، فهنيئًا لنا..»

* * *

وتعجبت سوسن وهى ترى أن فرحة خميسة الغامرة كانت لحصولها على عمل مع «الأستاذ».. فصاحت بها «ألم يحدثك فى شىء آخر خلاف العمل؟..»

ـ «تحدثنا سريعًا حول السيدة بهيرة»

ـ «وماذا ايضًا..؟»

وراحت خميسة تتذكر:

ـ «وأشياء أخرى حول الطموح والأمل وسن الأربعين»

ـ «الم يلمح بأى شىء آخر؟»

ـ «مثل ماذا ؟»

وصمتت سوسن، ثم رددت: «لا شىء.. لا شىء»

* * *

وذهبت إليه سوسن بما تبقى لديها من تعجب ودهشة:

ـ «قلت لى إنك ستفاتحها فى الزواج، لماذا عدلت عن ذلك؟»

قال لها حلمى صاحب القلم والفكر والفروسية والرأى الجرىء:

ـ «لا أدرى ما الذى ألجم لسانى؟ هل هو فارق السن؟»

ـ «خمسة عشر عامًا، حسبناها معًا واتفقنا أنه ليس فرقًا مزعجًا، ثم اتفقنا أن المقاييس الأخرى هى الأهم..»

ـ «سآخذ فرصة ثانية للتفكير الهادئ»

* * *

وسرعان ما تخلى عن التفكير الهادئ إثر كلمات قالها له أشرف بركات:

ـ «بهيرة ثائرة يا حلمى.. جاءتها أنباء أنك تحوم حول عشيقتك لكى تتزوج بها»

ـ «كيف لطليقتى أن تقتفى أثرى بهذا القدر من الإلحاح.. خميسة امرأة شريفة..»

ـ «لا تخطئ يا حلمى مرة ثانية.. لا تكن طيبًا.. الناس لن يرحموك إذا تزوجتها..»

ثم أطلق أحد أمثلته التى تناسب الموقف حول اللصوص الذين لم يضبطوهم وهم يسرقون ثم شاهدوهم وهم يقتسمون المسروقات..

* * *

وتتذكر سوسن أن حلمى جاءها مملوءًا بالغيظ وكلمات أشرف بركات تطن فى أذنيه، ثم أعاد عليها تلك الكلمات التى أغاظته، وقال لها:

ـ «أنا لم أرد عليه، ولم أعلق على نصيحته الغبية.. أتدرين لماذا؟. حتى يسمع ردى غدًا بشكل عملى، فأنا سأتزوج خميسة الليلة..»

ثم كرر كلمته الأخيرة بإصرار: «الليلة..»

* * *

غادرت فوزية المحل متجهة إلى منزلها وبوميل من البارود يكاد ينفجر فى قلبها، وتمنت ألا تجده فى الفيلا حتى تسارع بالنوم وتختلى بنفسها لتبكى حظها العاثر وحياتها الضائعة، فأىّ رجل يمكنها القول إنها تنعم فى كنفه بالعزة والكرامة قياسًا بما تنعم به خميسة من عز وعزة، وكرم وكرامة.

عاد زوجها بعد منتصف الليل بعدما حصلت على قسط وافر من النوم.. لم تجد ميلًا للتحدث معه.. لم يلق بالًا لذلك. ولكنها وجدت مدخلًا للحديث:

ـ «خميسة حكت لنا مرة قصة العرّافة التى قابلتكما على كوبرى الملك الصالح»

ـ «وما الذى ذكرّك بذلك الأمر الآن؟»

ـ «العرّافة قالت لها يومها أنها ستصبح ملكة»

ـ «وهل صارت ملكة؟»

ـ «طبعًا، فالملكة هى الزوجة التى يجلسها زوجها فوق رأسه لترتفع قامتها»

ـ «وهل إذا تزوج العشيق عشيقته الخائنة يحولها إلى ملكة؟»

ـ «خميسة لم تخنك.. وليس هناك رجل يتزوج عشيقته»

ـ «هذا إذا افترضنا أن حلمى عبد الباقى رجل»

ـ «سمعتك مرة تمنح صفة الرجولة لرجلك «كلة».. هل هذا هو مقياسك؟»

ـ «هو فعلًا كذلك..»

ـ «قل هو فعلًا الزمن المعوج.. «كله» يسبق حلمى عبد الباقى فى الرجولة.. وأشرف بركات يستعد للجلوس مكان عبد الناصر..»

ـ «تقصدين أنور السادات»

ـ «قلت لى إنه لا فرق بينهما»

ـ «الفرق يتوقف على الزمان والمكان اللذين يتواجدان فيه..»

ـ «إذن، فمن منهما يسعى لقتل عبد الناصر؟»

ـ «عبد الناصر دمه سيتفرق بين القبائل فى الداخل والخارج، التفاصيل عند صديقك حشمت»

ـ «صديقى؟.. أنا لا أصادق الرجال..»

ـ «أنت فقط تنامين معهم..»

ـ «مؤامرة جديدة؟.. كمؤامرة خميسة وحلمى»

ـ «لست بحاجة لعمل مؤامرة لفيلم ما زال يعرض أحداثه»

ـ «أى فيلم تقصده؟»

ـ «فيلم بطلته تدخل وكر عشيقها بملابس وتخرج منه بملابس أخرى..»

ـ «أرأيت؟..إذن، فأنت ذهبت إلى هناك وكانت معك عشيقة»

ـ «لم تكن معى يومها من حسن حظى فهى تعرف ملابسك.. دعك من هذا الموضوع التافه.. هل ما زلت تدسين السم للضيف الكبير؟»

ـ «وأفكر كثيرًا فى تجرع الزجاجة المشئومة لأتخلص من حياتى»

ـ «ليس الآن.. نحن بحاجة إليك.. فأنت الآن مصدر ثقة بدليل أن الهانم أرسلتك لاستعارة مجوهرات الشيخة صباح..»

ـ «فعلًا.. كيف عرفت؟»

ـ «وأنك أعدتها فى اليوم الثالث..»

ـ «هذا ما حدث.. كيف عرفت ؟»

ـ «إذن، فالمطلوب منك لو تكرر هذا الأمر أن تتصلى بى قبل تسليم المجوهرات للهانم ثم قبل إعادتها للأميرة الكويتية.. وهذه المهمة لا يجب أن يأخذ بها خبرًا عشيقك الحيوان»

ـ «لم أعد أفهم شيئًا»

ـ «من الخطر على البشرية أن تذهبى فى جانب من يفهمون.. أحذرك من ذكر هذا الموضوع لعشيقك الذى لا يحسن استخدامك إلا فى السرير، أو فى مشروعه»

نكست رأسها نحو الأرض، وتذكرت ما قاله عنه حشمت بركات من أنه يتحرر من كل شىء حتى الشرف نفسه.. ولكن ماذا عن موضوع المجوهرات الذى يخطط له بعيدًا عن حشمت؟.. هل هى جريمة جديدة يفكر بها ذلك الجبار العتيد الذى يعرف كل ما يدور حولها فى القصر؟ وأى هدف يتسابقان نحوه هو وحشمت بركات؟.. إنهما لا يسعيان إلا والجريمة ثالثتهما.. وكلٌّ منهما يستخدمها بطريقته.. وزوجها الذى لا يرحم يحاول الآن ترجيح وزنه بجريمة جديدة.. جريمة مستحدثة.. جريمة تتعلق بمجوهرات الأميرات..

ـ «فمتى يتوقفان عن عقد الجرائم حتى أرتاح.. أو أموت؟»